

## التحرير والتنوير

وفي الآية إشارة عظيمة إلى أن أمور الجزاء في الأخرى تجري على ما رتبته الله وأعلم به عباده . وأن نظام أمور الدنيا وترتيب مسبباته على أسبابه أمر قد وضعه الله تعالى وأمر بالحفاظ عليه وأرشد وهدى فمن فرط في شيء من ذلك فقد استحق ما تسبب فيه .

( فأندرتكم نارا تلظى [ 14 ] لا يصلحها إلا الأشقى [ 15 ] الذي كذب وتولى [ 16 ] وسيجنبها الأتقى [ 17 ] الذي يؤتي ماله يتزكى [ 18 ] وما لأحد عنده من نعمة تجزى [ 19 ] إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى [ 20 ] ولسوف يرضى [ 21 ] ) يجوز أن تكون الفاء لمجرد التفريع الذكري إذا كان فعل ( أندرتكم ) مستعملا في ماضيه حقيقة وكان المراد الإنذار الذي اشتمل عليه قوله ( وأما من بخل واستغى وكذب بالحسنى فسنيصره للعسرى ) إلى قوله تعالى ( تردى ) . وهذه الفاء معناها معنى فاء الفصيحة لأنها تدل على مراعاة مضمون الكلام الذي قبلها وهو تفريع إنذار مفصل على إنذار مجمل .

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع المعنوي فيكون فعل ( أندرتكم ) مرادا به الحال وإنما صيغة في صيغة المضي لتقريب زمان الماضي من الحال كما في : قد قامت الصلاة وقولهم : عزمت عليكم إلا ما فعلت كذا أي أعزم عليكم ومثل ما في صيغ العقود : كبتعت وهو تعريف على جملة ( إن علينا للهدى ) والمعنى : هديكم فأندرتكم إبلاغا في الهدى .

وتنكير ( نارا ) للتهويل وجملة ( تلظى ) نعت . وتطفى : تلتهب من شدة الاشتعال . وهو مشتق من اللظى مصدر : لطيت إذا التهبت وأصل ( تلظى ) تطفى بتاء بين حذف إحداهما للاختصار .

وجملة ( لا يصلها إلا الأشقى ) صفة ثانية أو حال من ( نارا ) بعد أن وصفت . وهذه نار خاصة أعدت للكافرين فهي التي في قوله ( فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ) والقرينة على ذلك قوله ( وسيجنبها الأتقى ) الآية .

وذكر القرطبي أن أبا إسحاق الزجاج قال هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء فزعموا : أن لا يدخل النار إلا كافر وليس الأمر كما ضنوا : هذه نار موصوفة بعينها لا يصلح هذه النار إلا الذي كذب وتولى ولأهل النار منازل فمنها أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار اه .

والمعنى : لا يصلها إلا أنتم .

وقد أتبع ( الأشقى ) بصفة ( الذي كذب وتولى ) لزيادة التنصيص على أنهم المقصود بذلك فإنهم يعلمون أنهم كذبوا الرسول A وتولوا أي أعرضوا عن القرآن وقد انحصر ذلك الوصف

فيهم يومئذ فقد كان الناس في زمن ظهور الإسلام أحد فريقين : إما كافر وإما مؤمن تقى ولم يكن الذين أسلموا يغشون الكبائر لأنهم أقبلوا على الإسلام بشرائهم ولذلك عطف ( وسيجبها الأتقى ) الخ تصريحاً بمفهوم القصر وتكميلاً للمقابلة .

والأشقى والأتقى مراد بهما : الشديد الشقاء والشديد التقوى ومثله كثير في الكلام . وذكر القرطبي : أن مالكا قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز فقراً ( والليل إذا يغشى ) فلما بلغ ( فأندرتكم نارا تلظى ) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعدها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى .

ووصف ( الأشقى ) بصلة ( الذي كذب وتولى ) ووصف ( الأتقى ) بصلة ( الذي يؤتي ماله يتزكى ) للإيدان بأن للصلة تسببا في الحكم .

وبين ( الأشقى ) و ( الأتقى ) محسن الجنس المضارع . وجملة ( يتزكى ) حال من ضمير ( يؤتي ) وفائدة الحال التنبيه على أنه يوتي ماله بقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضا بالمشركون الذين يؤتون المال للفخر والرياء والمفسد والفجور .

والتزكي : تكلف الزكاء وهو النماء من الخير .

والمال : اسم جنس لما يختص به أحد الناس من أشياء ينتفع بذاتها أو بخراجها وغلتها مثل الأنعام والأرضيين والآبار الخاصة والأشجار المختص به أربابها .

ويطلق عند بعض العرب مثل أهل يثرب على النخيل .

وليس في إضافة اسم الجنس ما يفيد العموم فلا تدل الآية على أنه آتى جميع ماله .